دراسة مقارنة للأواني الخزفية بخوقند وخيوة ومثيلاتها ببخارى (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

أ.د / أحمد رجب محمد علي

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

بكلية الآثار – جامعة القاهرة

نسرين على أحمد محمد عطا لله

مفتشة آثار بالإدارة المركزية للمعلومات – وزارة الآثار

المقدمة:

قد يخفى على الكثير أن منطقة آسيا الوسطى[١] تركت لنا إرثًا ضخمًا وتاريخًا عريقًا من التراث الحضاري في مجالات عدة، فهي تعد من أغنى مناطق العالم الإسلامي بالآثار الإسلامية المتنوعة ما بين مساجد ومدارس وقصور وقباب وقلاع وغيرها، كما تميزت المنطقة بإنتاجها للعديد من التحف التطبيقية والتي تنوعت ما بين المنتجات الخزفية والمعدنية والخشبية والمنسوجات وأشغال الحجر والرخام وغيرها من الفنون والتي ما زالت بعض الأسر الفنية تزاولها حتى يومنا هذا .

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد يناير الجزء الأول ٢٠٢٠.

هذا وتعد خيوة [٢] وخوقند[٣] وبخارى من أهم المراكز الفنية والصناعية في منطقة آسيا الوسطى، والتي توجد الآن ضمن دوله أوزبكستان[٤]، ويعد إنتاج الخزف من أكثر الصناعات انتشارًا بها ، وذلك منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحالي، ويشهد على ذلك ما تزخر به المتاحف الأوزبكية والروسية والعالمية من تحف خزفية، والبلاطات الخزفية التي تكسو واجهات وجدران العمائر بهذه المدينة.

هذا وبالنسبة للصناعات الخزفية في منطقة أوزبكستان فقد مرت بمراحل متنوعة ما بين إزدهار وتميز وإتقان ، وفترات أخرى من التراجع والركود لا سيما في فترة القرنين الـ (١١-١٢هـ / ١٧-١٨م) ويرجع ذلك إلى تعدد الدويلات والإمارات في أوزبكستان وإنشغالها بالنزاعات العسكرية فيما بينها مما انعكس أثره بالسلب على الفنون وإنتاجها، بينما ارتقت الصناعات ومنها صناعة الخزف مرة ثانية وأصبحت أكثر جمالًا وتعقيدًا من أي فترة سابقة وذلك مع مطلع القرن الـ ١٣هـ / الـ١٩م[٥].

وقد تعددت الأساليب والطرق الفنية التي استخدمها الفنان في زخرفة التحف الخزفية ومنها الرسم فوق الطلاء وكذلك تحت الطلاء، إلى جانب الزخرفة عن طريق استخدام إسلوب الحفر والحز والختم والزخارف المنفذة بالقالب، إلا أن أكثر الأساليب الزخرفية التي شاع استخدامها في تنفيذ الزخارف على التحف الخزفية محل الدراسة هو أسلوب تنفيذ الزخارف عن طريق الرسم تحت الطلاء الزجاجي الشفاف[٦].

وكانت أكثر الألوان شيوعًا واستخداما في تنفيذ العناصر الزخرفية المتنوعة على الأواني الخزفية موضوع الدراسة هي الألوان الأبيض والأزرق والأخضر والبني بدرجاته.

وكان أكثر الأنواع انتشارًا في خزف آسيا الوسطى خلال الفترة موضوع الدراسة هو الخزف المرسوم تحت الطلاء.

هذا وقد تنوعت العناصر الزخرفية المنفذه على خزف خيوة وخوقند وبخارى ما بين زخارف نباتية متنوعة، وهندسية، وكتابية، وكذلك زخارف تحوي رسوم لعمائر وأخرى تحتوي على رسومًا آدمية وصور شخصية.

اتسمت الفنون الإسلامية بصفة عامة بمعرفة ظاهرة التأثر والتأثير بين الفنون، فكانت تتأثر فنون كل قطر من الأقطار الإسلامية بفنون وحضارات الأقطار والبلدان المجاورة لها ، أو حتى الدول الخارجية والأجنبية، فكانت الفنون الإسلامية تأخذ من كل فن أو حضارة ما يناسبها ويتوافق مع الإسلام وتدمجه في بوتقه الفن الإسلامي، وفي نفس الوقت كان للفن الإسلامي أثره البالغ الأهمية على الفنون الأخرى، فقد أثرت الفنون الزخرفية الإسلامية على العديد من الفنون والحضارات الأخرى، التي نهلت وأستوحت من الفن الإسلامي العديد والعديد من العناصر والأساليب الفنية والزخرفية على منتاجاتها الفنية المختلفة.

أما بالنسبة لفنون صناعة وزخرفة الخزف في منطقة آسيا الوسطى، وخاصةً في خانيتي خوقند وخيوة، فنجدها قد تأثرت ببعض العناصر الفنية والزخرفية لحضارات بعض الدول والبلدان المجاورة لها أو التي كان بينها وبينهم علاقات تجارية واقتصادية ودبلوماسية، ومنها إيران والصين والهند وتركيا، وكانت هناك عدة معابر وعوامل أدت لظهور مثل تلك التأثيرات الفنية المختلفة على صناعة وزخرفة خزف خانيتي خوقند وخيوة، هذا بالإضافة إلى التأثيرات المحلية بين الخانيات وبعضها البعض.

وعند النظر إلى زخارف الأواني الخزفية بخيوة وخوقند فإننا نلحظ التشابه

الكبير بين زخارف تلك الأواني وبين زخارف نظيرتها والمنتجة ببخارى، وربما يرجع ذلك إلى أنه منذ نهايه القرن الـ ١٣هـ / ١٩م وبداية القرن الـ١٤هـ / الـ٢٠م درس العديد من الحرفيين والفنانين الخوارزميين الفن على أيدي الأساتذة المشهورين في بخارى، مما أدى إلى تطور الزخارف المنفذة على المنتجات بخيوة، وظهرت عليها سمات فنية جديدة أقرب إلى مدينة بخارى ، لذا نجد أن هناك تشابهًا كبيرًا بين المنتجات الفنية بخيوة مع نظيرتها ببخارى(٧)، في حين جاءت بعض التحف الخزفية لها طابع خاص بالخانية التي أنتج بها يميزها عن غيرها.

وظهر ذلك التشابه جليًّا وواضحًّا سواء أكان من ناحية الشكل العام لبعض التحف الخزفية وخاصة في الصحون الخزفية المختلفة الأحجام والعمق، أو في الطينة الحمراء التي صنعت منها أغلب القطع الخزفية موضوع الدراسة لوحات أرقام (١) (٥) (١٢) (١٦)، أو في استخدام بعض العناصر الزخرفية.

وقد كانت هناك عدة عوامل أدت لظهور ذلك التشابه بين المنتجات الخزفية المنتجة في الخانيات الثلاث، ولعل من أهمها العامل الجغرافي والاقتصادي والتجاري، وقد أثرت تلك العوامل مشتركة في عملية الإنتاج وتشابه المواد الخام المستخدمة في الصناعة وكذلك في تشابه العناصر الفنية والزخرفية المنفذة على منتجات تلك الخانيات، فالخانيات الثلاث تقع في إقليم واحد وهو إقليم أوزبكستان ضمن بلاد ما وراء النهر في التركستان الغربية.

فمن الناحية الصناعية والتقنية والمواد الخام، نجد أن هناك تشابهًا كبيرًا بين الطرق الصناعية المستخدمة في الخانيات الثلاث، وذلك نظرًا لتوافق المناخ في الخانيات الثلاث، فقد تميزت جغرافية تلك المنطقة بكثرة روافد الأنهار ومجاريها المائية وقنواتها العديدة التي ساعدت على توفير المادة الخام

من الطينة الصلصالية الحمراء والطفلة التي توجد على سطح الأرض على ضفاف الأنهار والمستخدمة في صناعة المنتجات الخزفية المتميزة المنسوبة لتلك الخانيات.

كما ساعد توافق مناخ تلك المنطقة على توافق واتباع نفس الطرق الصناعية في المنتجات الخزفية، فقد تميز مناخ تلك المنطقة بأنه شديد البرودة في الشتاء وشديد الحرارة في فصل الصيف، فمن الممكن أن تصل درجة الحرارة صيفًا إلى ٥٠ درجة مئوية، وعلى العكس في فصل الشتاء فمن الممكن أن تصل درجة الحرارة شتاءًا إلى أكثر من ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر، وقد أثرت تلك الأحوال الجوية والمناخية في صناعة المنتجات الخزفية، فقد عمل الخزافون على استغلال الفترة الوجيزة من العام ليحصلوا على الطين اللازم لعملية الإنتاج ويخزنوه لديهم قبل أن يكسو الجليد أرجاء البلاد لفترات طويلة من العام(٨).

هذا وقد كانت هناك عدة عوامل أخرى إضافة إلى العامل الجغرافي ساعدت على وجود تشابه في الطرق الصناعية والعناصر الزخرفية المنفذة على المنتجات الخزفية بالخانيات الثلاث، فتعد مدن كلٍّ من خانيات بخارى خوقند وخيوة من أهم المراكز الصناعية والتجارية في آسيا الوسطى، هذا وقد اتسمت كل مدينة من مدن تلك الخانيات بسمات فنية تميزها عن غيرها، بالإضافة إلى اشتراك بعضها في بعض السمات الفنية والصناعية، وقد ظهرت تلك السمات الفنية المشتركة نتيجة لوجود التأثيرات الفنية المحلية التي انتقلت بين مختلف مدن ومراكز تلك الخانيات وخاصةً في فترة القرن الـ (١٣هـ-١٩م) ، وكانت من أهم العوامل التي ساعدت على ظهور وانتقال تلك التأثيرات الفنية المحلية ما يلي:

- **التجارة المحلية:**

تعد التجارة الداخلية للسلع والمنتجات التجارية داخل الأسواق التجارية بالمدن الكبرى لتلك الخانيات، من أهم العوامل التي ساعدت على انتقال التأثيرات الفنية المختلفة بين الخانيات وبعضها، فقد كانت التجارة الفنية تضم كل المنطقة وتمتد حتى المجتمعات البدوية التي تعيش على أطرافها(٩).

فقد كان التجار في آسيا الوسطى يحملون بضائعهم ومنتجاتهم، ويتم نقلها بين مختلف الأسواق التجارية في الخانيات، وكانت تلقى المنتجات رواجًا كبيرًا وإقبالًا بين المستهلكين، وبالتالي كان يتعرف سكان مدن الخانيات على الأساليب الفنية والزخرفية لبعضهم البعض ويتأثر كلًا منهم بأساليب الآخر، ومن هنا تتبادل الخبرات والأساليب الفنية بين سكان تلك المناطق.

- **انتقال الفنانين والحرفيين بين الخانيات:**

يعد انتقال الصناع والحرفيين من أهم العوامل التي أدت إلى انتقال التأثيرات والأساليب الفنية والصناعية المختلفة بين الخانيات وبعضها، مما ساعد في النهوض بالصناعات والحرف المختلفة، ذلك أن الصناع هم دعائم قيام الصناعة، بالإضافة إلى توافر المواد الخام اللازمة للصناعة، كذلك رعاية حكام الدولة لهم، وقد ساعد انتقال الصناع من مدينة إلى أخرى على انتقال أساليبهم الفنية وأساليب المركز الفني والتجاري الذي ينتمون إليه، وكانوا يعملون به قبل سفرهم وانتقالهم إلى المركز الجديد الذي انتقلوا إليه، إلى جانب تأثرهم وتأثر أسلوبهم الفني بأساليب المركز الجديد الذي انتقلوا إليه، وقد استمرت ظاهرة انتقال الصناع وصغار الحرفيين للتعلم من كبار الفنانين المشهورين في مدن الخانيات المختلفة حتى نهاية القرن الـ(١٤هـ- ٢٠م) (١٠).

- **(متطلبات السوق) تغير الذوق الفني للمستهلك:**

من المعروف أن الإنسان يحرص دائمًا على التعرف على كل ما هو جديد ومختلف، ولأن الصناعات تقوم في الأساس على متطلبات المستهلكين وحاجاتهم، لذا فقد حرص الصناع على إنتاج كل ما يلقى قبولًا عند المستهلكين، وكل ما يتناسب مع احتياجاتهم وأذواقهم، ولتحقيق ذلك الهدف، كان يحرص الصناع على تحقيق الأختلاف والتنوع في المنتجات والصناعات، وكان يحرص على تقليد المنتجات سواء كانت تلك المنتجات خاصة بمدن آسيا الوسطى في الخانيات المجاورة، أو منتجات مصنوعة في البلدان المجاورة والتي كانوا يشاهدونها معروضة في الأسواق التجارية، وقد تمثلت التأثيرات المحلية في انتقال الأشكال والعناصر الزخرفية من مركز لأخر.

- **مظاهر التأثيرات المحلية بالخانيات الثلاث:**

نفذت بعض العناصر الزخرفية على بعض الأواني والأشكال الخزفية موضوع الدراسة تدلل على وجود تأثيرات فنية محلية متبادلة على منتجات بخارى خوقند وخيوة الخزفية ومنها:

- **رسوم الجامات والوردات الدائرية كبيرة الحجم: لوحة أرقام (١)**

وهي من التأثيرات المحلية المتوارثة، وهي تعود لفترة ما قبل الإسلام، فقد كانت ترمز تلك الوردات بشكلها الدائري ولونها الأحمر إلى الشمس والقمر، وذلك لأن عبادة الشمس والقمر كانت من العبادات المنتشرة في تلك المنطقة قبل الإسلام، وظل هذا الموروث لديهم حتى ظهور الإسلام واعتناقهم الدين الإسلامي ولكنها أصبحت مجرد عنصر زخرفي ليس له أي دلالة دينية، وظلت هذه الرسوم مستخدمة كموروث ثقافي شعبي[١١]. هذا وقد ظهرت تلك الوردات

من قبل على ضريح " إسماعيل الساماني" في مدينة بخارى، فوجدت منفذة في داخل الحلقات الدائرية المنفذة بالطوب على واجهة الضريح، كما ظهرت على الخزف منذ القرن الـ(٣هـ-٩م) ومن أمثلته صحن محفوظ بمتحف التاريخ والعمارة بمدينة سمرقند، وهو ما يدل على استمرار التقاليد الفنية القديمة وتنفيذها على مر العصور[١٢]، فظهرت على بعض المنتجات الخزفية موضوع الدراسة. لوحة (١).

- **رسوم شبكة المعينات: لوحة رقم (٢)**

يعد عنصر شبكة المعينات من أهم العناصر الزخرفية الهندسية المستوحاة من التأثيرات المحلية، فقد نفذ من قبل على واجهة ضريح "إسماعيل الساماني" الذي يعد من أقدم الآثار الإسلامية الباقية في مدينة بخارى، كما استخدم على مئذنة كالان، حيث نفذت تلك الرسوم باستخدام الطوب في الزخرفة أثناء البناء، وقد استمر استخدام تلك الرسوم الهندسية على المنشآت المعمارية، وكذلك على التحف التطبيقية في تلك المنطقة حتى نهاية القرن الـ (١٣هـ- ١٩م) وبداية القرن الـ (١٤هـ- ٢٠م)، حيث نفذ على العديد من القطع الخزفية موضوع الدراسة.

- **رسوم المربعات " رقعة الشطرنج" :لوحات أرقام (٣) (٥)**

شاع استخدام ذلك العنصر الزخرفي الهندسي ضمن العناصر الزخرفية التي تزين وتزخرف المنتجات الخزفية المنتجة بالخانيات الثلاث، وبصفة خاصة في إطارات الصحون المستديرة، وعادة ما تنفذ داخل شريط زخرفي بهيئة مربعات متجاورة ومكررة على ساحة الشريط وفي صفوف أفقية تعلو بعضها البعض، وغالبًا تنفذ بالألوان الأزرق والأبيض بالتبادل لوحات أرقام (٣) و(٥)، وقليل من الأحيان بالألوان الأبيض والفيروزي وخاصةً بمنتجات بخارى لوحة رقم (٥).

- **أشكال بعض العناصر المعمارية " العقود المنكسرة":**

استخدم خزافوا الخانيات الثلاث بعض العناصر المعمارية في زخرفة بعض منتاجاتهم الخزفية، ونفذوها بطريقة اصطلاحية محورة، ومن أبرز تلك العناصر المعمارية شكل العقد المدبب المنكسر فنراه مستخدمًا على بعض منتجات كلًا من خانية بخارى لوحة رقم (٧) وخوقند وبخارى موضوع الدراسة لوحة رقم (٦).

- **الزخارف الزجزاجية " الخطوط المتكسرة":**

شاع استخدام ذلك العنصر الزخرفي الهندسي ضمن العناصر الزخرفية المنفذة على المنتجات الخزفية التي تنسب للخانيات الثلاث، وغالبًا ما تنفذ تلك الزخارف الزجزاجية داخل إطارت ضيقة في جوانب وحواف الصحون الخزفية لوحات أرقام (٨) و(٩).

- **الأشرطة الزخرفية ذات الفروع النباتية:**

من ضمن العناصر الزخرفية التي استخدمها فنانوا الخزف في الخانيات الثلاث على منتاجاتهم الخزفية وخاصة على الصحون الخزفية، تلك الأشرطة الزخرفية التي تشغل حواف وجوانب الصحون المستديرة والتي يشغلها زخارف نباتية قوامها شكل فرع نباتي متماوج تنبثق منه أشكال مراوح نخيلية محورة وينتهي بعضها بأشكال أوراق نباتية متعددة البتلات، فنجد أن هذا النوع من الزخارف قد استخدم على بعضٍ من القطع الخزفية موضوع الدراسة لوحة رقم (١٠)، وكذلك على بعضٍ من القطع الخزفية التي تنسب لبخارى لوحة رقم(١١).

- **أشكال بعض التحف التطبيقية" الأباريق والخناجر":**

استخدمت بعض أشكال التحف التطبيقية ضمن العناصر الزخرفية المنفذة على المنتجات الخزفية موضوع الدراسة، ونجدها تتشابه مع تلك المنفذة على بعضٍ من المنتجات الخزفية التي تنسب لمدن بخارى، ومن أبرز تلك العناصر الزخرفية أشكال الأباريق التي نفذت تحتل مركز بعض الصحون الخزفية المنتجة بالخانيات الثلاث، والتي جاءت عبارة عن إبريق منفذ بهيئة زخرفية، فيبدأ من أسفل بقاعدة مرتفعة تأخذ الهيئة المثلثة، تحمل بدن الإبريق ذا الشكل الكروي أو المستدير والذي يشغله وحدة زخرفية نباتية عبارة عن شكل وريدة متفتحة رباعية البتلات منفذة باللون الأزرق على أرضية بيضاء اللون، ويلي بدن الإبريق رقبته القصيرة والتي تنتهي بصنبور الإبريق ذى الهيئة المدببة الشكل، أما مقبض الإبريق والذي يأخذ هيئة بها إلتواء، فهو ينبثق من أسفل فوهة الإبريق بشكل ملتو منحنٍ ليلتصق عند أعلى البدن.

أما غطاء الإبريق فقد شكل على هيئة قبة صغيرة تنتهي بقمة على هيئة ورقه نباتية ثلاثية البتلات لوحة رقم (١٢)، وجدت نفس الزخرفة على بعض الصحون التي تنسب لخانية بخارى لوحة رقم (١٣).

هذا بالإضافة إلى أشكال الخناجر التي نفذت على بعض الأواني الخزفية المنسوبة لمدن الخانيات الثلاث، والتي كانت تنفذ ضمن العناصر الزخرفية المنفذة على القطع الخزفية، وكانت غالبًا تنفذ صغيرة الحجم على منتجات خوقند وخيوة، ذات أنصال حادة ومقابض تنتهي باستدارة للداخل لوحة رقم (١٣).

هذا وقد إتسمت بعض المنتجات الخزفية التي تنسب لمدن كل من خانيتي خوقند وخيوة ببعض السمات الفنية التي تميزها عن مثيلاتها المنتجة

ببخارى، وخاصة من ناحية استخدام بعض العناصر الزخرفية، فمن خلال الدراسة لم نلحظ تنفيذ عناصر زخرفية تضم أشكال عمائر على منتجات بخارى الخزفية، وإنما وجدت منفذة على بعض صحون خيوة الخزفية كالصحن الخزفي المحفوظ بمتحف إسلام خواجه. لوحة رقم (١٦).

كما لم نلحظ وجود عناصر زخرفية تحوي رسومًا آدمية على منتجات بخارى الخزفية، في حين وجدناها منفذة على بعض صحون خيوة الخزفية مثل الصحن الخزفي الذي يشغل مركزه صورة نصفية لأحد خانات خيوة[١٣] لوحة رقم (١٤)، وشكل رقم(٣).

كما تفردت المنتجات الخزفية موضوع الدراسة باستخدام عنصر زخرفي لم نره على المنتجات الخزفية التي تنسب لبخارى ألا وهو عنصر " الشموس المشعة" حيث استخدم فنانوا الخزف في كلًا من خانيتي خوقند وخيوة ذلك العنصر الزخرفي الذي غالبًا ما كان ينفذ صغير الحجم إما داخل أشرطة زخرفية ضيقة على الصحون الخزفية لوحة رقم (١٥)، وإما في مركز الصحون لوحة رقم (١٦). كما تفردت المنتجات الخزفية بخوقند وخيوة بوجود نقوش كتابية على بعض منتجاتها لوحة رقم (١٧)، وهو ما لم نجده فى أوانى بخارى الخزفية

الخاتمة واهم نتائج البحث

عند مقارنة التحف الخزفية المنتجة والمنسوبة لكل من خانيتي خوقند وخيوة بنظيراتها ببخارى وخاصةً في الفترة الممتدة فيما بين القرن الـ (١٢- النصف الأول من القرن ١٤هـ)(١٨- النصف الأول من القرن ٢٠م)، يمكن التوصل إلى عدة نتائج هامة وهي كالتالي:

- أوضحت الدراسة أن خيوة وخوقند وبخارى من أهم المراكز الفنية

والصناعية في منطقة آسيا الوسطى، والتي توجد الآن ضمن دوله أوزبكستان، ويعد إنتاج الخزف من أكثر الصناعات انتشارًا بها، وذلك منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحالي، ويشهد على ذلك ما تزخر به المتاحف الأوزبكية والروسية والعالمية من تحف خزفية، والبلاطات الخزفية التي تكسو واجهات وجدران العمائر بهذه الخانيات ومدنها.

- أشارت الدراسة إلى أن الصناعات الخزفيه في منطقة أوزبكستان قد مرت بمراحل متنوعة ما بين ازدهار وتميز وإتقان، وفترات أخرى من التراجع والركود لا سيما في فترة القرنين الـ (١١-١٢هـ / ١٧-١٨م) ويرجع ذلك إلى تعدد الدويلات والإمارات في أوزبكستان وإنشغالها بالنزاعات العسكرية فيما بينها مما إنعكس أثره بالسلب على الفنون وإنتاجها، بينما ارتقت الصناعات ومنها صناعة الخزف مرة ثانية وأصبحت أكثر جمالًا وتعقيدًا من أي فترة سابقة وذلك مع مطلع القرن الـ ١٣هـ / الـ١٩م.
- أشارت الدراسة إلى ما تميزت به الفنون الإسلامية بصفة عامة وهي ظاهرة التأثر والتأثير بين الفنون، فكانت تتأثر فنون كل قطر من الأقطار الإسلامية بفنون وحضارات الأقطار والبلدان المجاورة لها، أو حتى الدول الخارجية والأجنبية، فكانت الفنون الإسلامية تأخذ من كل فن أو حضارة ما يناسبها ويتوافق مع الإسلام وتدمجه في بوتقة الفن الإسلامي، وفي نفس الوقت كان للفن الإسلامي أثره البالغ الأهمية على الفنون الأخرى، فقد أثرت الفنون الزخرفية الإسلامية على العديد من الفنون والحضارات الأخرى، التي نهلت واستوحت من الفن الإسلامي العديد والعديد من العناصر والأساليب الفنية والزخرفية على منتجاتها الفنية المختلفة.
- أوضحت الدراسة تأثر فنون صناعة وزخرفة الخزف في منطقة آسيا الوسطى، وخاصةً في خانيتي خوقند وخيوة، بنظيرتها ببخارى، وربما يرجع

ذلك إلى انه منذ نهايه القرن الـ ١٣هـ / ١٩م وبداية القرن الـ١٤هـ / الـ٢٠م درس العديد من الحرفيين والفنانين الخوارزميين الفن على أيدي الأساتذة المشهورين في بخارى، مما أدى إلى تطور الزخارف المنفذة على المنتجات بخيوة وخوقند، وظهرت عليها سمات فنيه جديدة أقرب إلى مدينة بخارى، لذا نجد أن هناك تشابهًا كبيرًا بين المنتجات الفنية بخوقند وخيوة مع نظيرتها ببخارى، في حين جاءت بعض التحف الخزفية لها طابع خاص بالخانية التي أنتج بها يميزها عن غيرها.

- أشار البحث إلى وجود عدة عوامل أدت لظهور ذلك التشابه بين المنتجات الخزفية المنتجة في الخانيات الثلاث، ولعل من أهمها العامل الجغرافي والاقتصادي والتجاري، وقد أثرت تلك العوامل مشتركة في عملية الإنتاج وتشابه المواد الخام المستخدمة في الصناعة وكذلك في تشابه العناصر الفنية والزخرفية المنفذة على منتجات تلك الخانيات، فالخانيات الثلاث تقع في إقليم واحد وهو إقليم أوزبكستان ضمن بلاد ما وراء النهر في التركستان الغربية.

- أشار البحث إلى أهمية انتقال الصناع والحرفيين بين مدن ومراكز الخانيات، حيث أنه يعد من أهم العوامل التي أدت إلى انتقال التأثيرات والأساليب الفنية والصناعية المختلفة بين الخانيات وبعضها، وقد ساعد انتقال الصناع من مدينة إلى أخرى على انتقال أساليبهم الفنية وأساليب المركز الفني والتجاري الذي ينتمون إليه، وكانوا يعملون به قبل سفرهم وانتقالهم إلى المركز الجديد الذي انتقلوا إليه، إلى جانب تأثرهم وتأثر أسلوبهم الفني بأساليب المركز الجديد الذي انتقلوا إليه، وقد استمرت ظاهرة انتقال الصناع وصغار الحرفيين للتعلم من كبار الفنانين المشهورين في مدن الخانيات المختلفة حتى نهاية القرن الـ(١٤هـ- ٢٠م).

- أشار البحث إلى أهم السمات الفنية للأواني الخزفية المنتجة والمنسوبة بخانيتي خوقند وخيوة والتي تتشابه مع نظيرتها ببخارى، سواء من حيث الأساليب الصناعية والتقنية والمواد الخام التي تصنع منها المنتجات الخزفية بالخانيات الثلاث–الطينة الصلصالية الحمراء المتوافرة على شواطئ أنهار تلك المنطقة–، أو من حيث التشابه في بعض العناصر الزخرفية التي شغلت تلك المنتجات في الخانيات الثلاث.
- أشار البحث إلى أهم العناصر الزخرفية التي شغلت وزخرفت أسطح المنتجات الخزفية في الخانيات الثلاث، ومن أهمها أشكال الوريدات والدوائر كبيرة الحجم، وأشكال بعض التحف التطبيقية كالأباريق وأشكال الخناجر، وأشكال الأشرطة الزجزاجية، وأشكال المربعات "زخرفة رقعة الشطرنج"، وأشكال شبكة المعينات، وأشكال لبعض العناصر المعمارية كالعقود.
- أشار البحث إلى تفرد المنتجات الخزفية بخانيتي خوقند وخيوة وتميزها عن نظيراتها ببخارى ببعض العناصر الزخرفية التي لم نرها في منتجات بخارى الخزفية، مثل رسوم لبعض العمائر مثل ما نفذ على سطح أحد الصحون المستديرة المحفوظة بمدرسة إسلام خواجه، كذلك عنصر الرسوم الآدمية وخاصةً الصور الشخصية النصفية والذي شاهدناه على أحد الصحون الخزفية المنسوبة لخيوة والمحفوظ كذلك بمتحف مدرسة إسلام خواجه، بالإضافة إلى وجود بعض النقوش الكتابية على بعض المنتجات الخزفية المنسوبة لكل من خوقند وخيوة، الأمر الذي لم نره على منتجات بخارى الخزفية.

الهوامش:

(١) **آسيا الوسطى:** شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهملايا ومن الجنوب الغربي هضبه البامير ومن الغرب جبال تيان شان ومن الشمال جبال الألتى ويابلوتوى وستانوفوى، ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور، وتبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالى ستة ملايين كيلو متر تمثل فى مجموعها سلسلة من الهضاب الجعدة والمنخفضات، وقد أطلق على هذه المنطقة اسم تركستان الروسية تمييزا لها عن تركستان الشرقية التي كانت تحت سيطرة الصين ذلك في عام (١٢٠٧هـ – ١٨٨٦م) وأستمرت تلك التسميه حتى عام (١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م) حيث أطلق علي**ها** اسم آسيا الوسطى..**بارتولد:** تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة **د.أحمد السعيد سليمان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م، ص ٧.

(٢) **خيوة:** هي احدى مدن أوزبكستان وتقع إلى الجنوب من بحر آرال في صحراء قراقوم، وكانت المدينة عاصمة خانات خيوة والتي خلفت دولة خوارزم. **يحيى شامي:** موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٤٧.

(٣) **خوقند:** وتتكون الكلمة من مقطعين هما خو وقند، وتعني مدينة الخنزير، فقد كان المكان قديمًا محاطًا بالمستنقعات، وارتادته الخنازير البرية، لذلك عرفت بهذا الإسم، ومع ذلك فإن السكان الأصليين يطلقون عليها أسم خوقندي أي لطيف أو خوقند الساحرة، ويشير الاسم الى المناطق المحيطة بها والتي تحوي الجبال الثلجية المنتشرة في أكثر من مكان، كما يقال أن كلمة خوقند مشتقة من خوب – قند أي المكان الجميل. أنظر: **أحمد رجب محمد على رزق:** خوقند عاصمة آسيا الوسطى في القرن التاسع عشر، مجلة تراث، العدد ١١٠، أكتوبر ٢٠٠٨م.

(٤) أقيمت جمهورية أوزبكستان عام (١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م)، وهي إحدى الجمهوريات السوفيتيه الست التي تعرف باسم الكومنولث الروسي، وهم من أصل منطقة تركمنستان (آسيا الوسطى) وهذه الجمهوريات (أوزبكستان، طاجيكستان، تركمانستان، قرغيزستان، تترستان، كازاخستان) ويسكنها جماعات الأوزبك والتي استولت على هذه الأراضي في القرن (١٠هـ – ١٦م) بقيادة محمد شيباني، حيث قسمت هذه الأراضي بين النهرين في

بدايه القرن الـ١٣هـ – ١٩م إلى ثلاث خانات هما بخارى وخيوة وخوكند، وقد استقلت عن الاتحاد السوفيتي في أواخر القرن الـ ٢٠م وكان الاستقلال في سبتمبر ١٩٩١م.

محمود طه أبو العلا: الآثار الاجتماعيه والاقتصادية لنهري جيحون وسيحون في آسيا الوسطى، بحث الآثار الاجتماعية بالمؤتمر الدولي المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز الماضي والحاضر والمستقبل، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٣٤.

(٥) **عماد سليمان عبدالسلام مبارك:** خزف مدينة بخارى في الفترة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين (١٦– ١٩م) دراسة آثارية فنية في ضوء مجموعات جديدة، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٤، ص ١٣، ٣٢.

(٦) **عماد سليمان،** خزف مدينة بخارى، ص ١٩٦.

(٧) **هدى صلاح الدين عمر محمد:** التحف المعدنية الإسلامية بخانيات بخارى وخوقند وخيوة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (دراسة آثارية فنية)، رساله دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٥م، ص ٦٥٤.

(٨) **عماد سليمان:** خزف بخارى، ص ٢٧٩.

(9) **Wheeler (Geoffrey),** The Modern History of Soviet Central Asia, Weidenfeld and Nicolson, London 1964, p.44

هدى صلاح الدين: التحف المعدنية، ص ٨٢٥.

(١٠) **هدى صلاح الدين:** التحف المعدنية، ص ٨٢٥.

(١١) **أحمد توني عبد اللطيف:** الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك، المؤتمر الدولي المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٥٥.

(١٢) **محمد هدى صلاح الدين عمر:** المنسوجات المطرزة السوزانا بمدينة بخارى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين فى ضوء المجموعات، ص ١٦١.

(١٣) كانت الرسوم الآدمية وخاصة رسوم الصور الشخصية، لها نصيب في زخرفة بعض الأواني الخزفية موضوع الدراسة، فوجد لدينا صحن خزفي منفذ عليه صورة شخصية لأحد حكام خيوة، حيث ظهر في صورة نصفية بوضع ثلاثي الأرباع، وعكست لنا هذه

الصورة طراز الملابس وأغطية الرؤوس في هذه المنطقة، وفكرة رسم أو نقش صور شخصية للحكام على بعض منتجات التحف التطبيقية هي فكرة ليست بجديدة، فقد ظهرت في مناطق وأقاليم عدة، ولم يقتصر تنفيذها على الأواني الخزفية فحسب، بل على العديد من المواد المختلفة من معادن وسجاد وغيرها، ولعل من أكثر الدول المجاورة والتي انتشرت لديهم تلك الفكرة هي إيران وخاصة في الفترة القاجارية، وكان أكثر شاهات العصر القاجاري في إيران تنفيذًا لصورة الشخصية على منتجات التحف التطبيقية المختلفة هو "فتح على شاه " يليه " ناصر الدين شاه". للمزيد من التفاصيل حول الرسوم الآدمية والصور الشخصية للقاجاريين انظر: **نسرين على أحمد:** التحف المعدنية الإيرانية في العصر القاجاري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م.

كتالوج الأشكال واللوحات

شكل رقم (١) زخارف أحد صحون خيوة الخزفية" شبكة المعينات"

شكل رقم (٢) شكل العناصر المعمارية المنفذة على أحد صحون خيوة الخزفية

شكل رقم (٣) شكل للرسوم الآدمية المنفذة على أحد صحون خيوة الخزفية

شكل رقم (٤) زخرفة الأشرطة الزخرفية ذات الفروع النباتية

لوحة رقم (١) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء، أواخر القرن الـ(١٣هـ- ١٩م) أوائل القرن الـ(١٤هـ- ٢٠م)

متحف الفن الإسلامي ببرلين

لوحة رقم (٢) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء ، أوائل القرن الـ١٤هـ- ٢٠ م

متحف قصر إسلام خواجه

لوحة رقم (٣) صحن من الخزف المطلي ، ريشتان القرن (الـ ١٣هـ _الـ ١٩م)

متحف ايبك لتاريخ شعوب اوزبكستان، طشقند

لوحة رقم (٥) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء، القرن الـ (١٣هـ- ١٩م)

متحف فيكتوريا وألبرت

لوحة رقم (٦) صحن من الخزف ذو زخارف مرسومة تحت الطلاء ، نامنجان ،

خوقند اوزبكستان، القرن الـ١٤هـ/ الـ٢٠م

لوحة رقم (٧) سلطانية من الخزف المرسوم تحت الطلاء القرن الـ (١٠هـ- ١٦م)

متحف أمير تيمور ، طشقند، نقلًا عن عماد سليمان، خزف بخارى

لوحة (٨) صحن من الخزف ذو زخارف منفذة تحت الطلاء القرن الـ (١٤هـ- ٢٠ م)،

مكتبة الخان بكهنة أرك بخيوه

لوحة (٩) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء، القرن الـ١٢هـ- ١٨م

متحف كلية الآثار، جامعة القاهرة

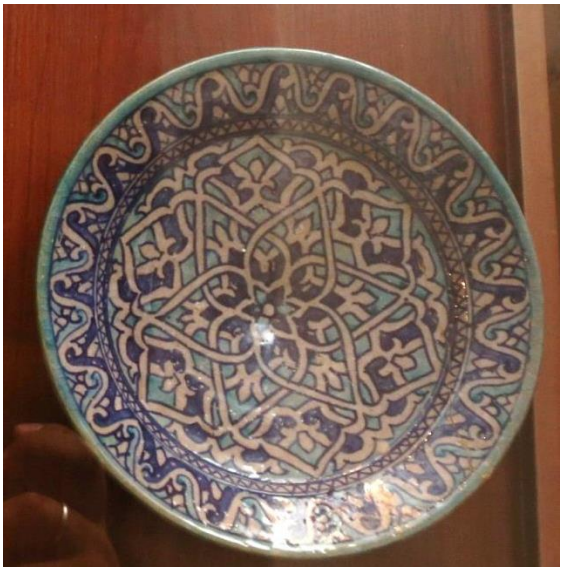

لوحة رقم (١٠) صحن من الخزف ذو زخارف منفذة تحت الطلاء / القرن الـ ١٤هـ - ٢٠ م

خيوة / مكتبة الخان بكهنة أرك

لوحة رقم (١١) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء، القرن (١٢هـ/١٨م) متحف الميتروبوليتان،

نقلًا عن: عماد سليمان: خزف بخارى

لوحة رقم (١٢) صحن من الخزف المطلي ، ريشتان ، أواخر القرن الـ١٩ أوائل القرن الـ٢٠م

متحف ايبك لتاريخ شعوب أوزبكستان ، طشقند.

لوحة رقم (١٣) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء القرن الـ(١٣هـ- ١٩م) متحف الدولة للفنون الشرقية،

نقلًا عن عماد سليمان ، خزف بخارى

لوحة رقم (١٤) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء، القرن النصف الأول من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)

متحف قصر إسلام خواجه بخيوة

لوحة رقم (١٥) صحن من الخزف المطلي ذو الزخارف المنفذة تحت الطلاء / خيوة القرن الـ ١٩م / مكتبة الخان بكهنة أرك

لوحة رقم (١٦) صحن عميق قليلًا من الخزف المطلي ذو زخارف منفذة تحت الطلاء القرن الـ (١٤هـ/ ٢٠م) خيوة / مكتبة الخان بكهنة أرك

لوحة رقم (١٧) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء، القرن النصف الأول من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)

مكتبة الخان بقصر كهنة أرك بخيوة

لوحة رقم (١٨) صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء،

القرن النصف الأول من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) متحف قصر إسلام خواجه بخيوة